مقصدية* الإنسان وقوتها الإقناعية/ دراسة في النظام الفكري النظري
عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

م.د. يعرب فرج حاجم
مديرية تربية البصرة

خلاصة البحث:

حاول الباحث الوقوف على (الرؤية الكونية) باعتبارها المرادف لكلمة النظام الفكري النظري ، إذ قسم الفلاسفة النظام الفكري إلى قسمين النظام الفكري النظري أو ما يطلق عليه الرؤية الكونية، والنظام الفكري العملي. فالرؤية الكونية (مجموعة من المعتقدات و النظريات الكونية المتناسقة حول الكون والإنسان بل حول الوجود بصورة عامة)، ومن ثم تقسيمات هذا النظام الفكري النظري ومحاولات إيجاد مصاديق لها في كلام أمير المؤمنين الذي يتمحور حول الإنسان ويكون الإنسان محورا فيه.إذ اهتم البحث بالرؤية الفكرية القائمة على على أساس فلسفي والرؤية القائمة على أساس التعبد بالنصوص المقدسة.

الكلمات المفتاحية: النظام الفكري النظري، الرؤية الكونية، قوتها الإقناعية ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

The Teleology of Human Intent and its Persuasive Power:
A Study in the Theoretical Intellectual System of Ali Bin Abi Talib (pbuh)

Lect. Dr. Yarub Faraj Hajim
Basrah Education Directorate

Abstract:

The researcher attempted to grasp the "cosmic vision" as synonymous with the term "theoretical conceptual system." Philosophers divided the conceptual system into two parts: the theoretical conceptual system, which is also referred to as the cosmic vision, and the practical conceptual system. The cosmic vision is (a set of consistent beliefs and cosmic theories about the universe, humanity, and existence in general) ,the subsequent divisions of this theoretical framework, and the attempts to find parallels in the sayings of the Commander of the Faithful, which revolve around human beings, with a focus on humans. The research focused on the intellectual vision based on a philosophical basis and the vision based on worshiping sacred texts.

Keywords: The Intellectual Theoretical System , The Cosmic Vision , The Persuasive Power , Commander of the Believers (Ameer Al-Mu'mineen) Ali ibn Abi Talib (peace be upon him) .

---

* لفظ أشتق من (نظرية القصدية لجون سيرل)وهي نظرية تهتم بفلسفة العقل، وتمثل قدرة العقل الإنساني على تحقيق إتصال بين الكائن الإنساني والعالم، أي تهتم بدراسة قدرات العقل البيولوجية و الحالات الفعلية، أو هي قدرة العقل على أن يوجه ذاته نحو الأشياء(ينظر كتاب المقصدية لجون سيرل صفحة ١٧ وما بعدها).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وأله الطيبين الطاهرين ، و على أبن عمه أمير المؤمنين ويعسوب الدين علي بن أبي طالب(عليه السلام).

مما لا شك ولاريب وقد أتفق على ذلك المخالف و المآلف أنّ أميرَ المؤمنين علي (عليه السلام) شخصيةٌ فذة فريدة من نوعها، فقد كان مميزاً في كل شيء، مقدما على أقرانه في كل شيء، كيف لا؟ وقد اصطفاه النبي(صلى الله عليه وآله) لنفسه وادخره لمؤاخاته، ثم أن أهل العلم والفضيلة قد سطرت الكتب و وضعت التراجم في هذه الروح الملكوتية والنسمة الكونية، والتي لا يحسب على جهة من دون أخرى فهو عليه السلام ملك البشرية جمعا.

فهذا الإمام أحمد بن شعيب النسائي(ت٣٠٣هـ) قد كتب كتاباً أسماه(خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) جمع فيه كل ما قيل بحق أمير المؤمنين (عليه السلام) تقريباً، وقبله قال الخليفة عمر بن الحطاب((لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إليّ من أن أُعطى حُمر النعم))[١]. كما فعل ذلك كثير من الأدباء و الكتاب قديماً وحديثاً.

التمهيد:

ولا بد لنا في هذه العجالة من معرفة أركان البحث وكلماته المفتاحية، وأهمها(الرؤية الكونية) قبل الخوض في غماره واستجلاء مكنونه. فالكون في المعجم الفلسفي لجميل صلبيا هو((وعلم الكون العقلي عند كانت هو البحث في المسائل المتعلقة بأصل العالم وطبيعته من جهة ما هو حقيقة وجودية متعينة خارج الذهن --))[٢]، بمعنى محاولة الإنسان في معرفة الوجود ومن أفاض به[٣].فالكونية من مصطلحات النظام العالمي الجديد الذي يقوم على فكرة الإستفادة من أي نسق فلسفي يحاول أن يستوعب فكرته الرئيسة والتي تعد محوراً له، و يؤسس بموجبها رؤية كونية مفتوحة ناقدة لذاتها، الغاية منها إرساء مباديء وعي كوني يزيل اغتراب الإنسان[٤]، في جانب من جوانب النظام الفكري الذي يقسم إلى قسمين فكري نظري، وفكري عملي الأول يعني الرؤية الكونية، والثاني يعني الإيديولوجيا[٥]، لذا الرؤية الكونية((هو أسلوب من التفكير عمّا هو موجود---أو الحكمة النظرية))[٦]، فالرؤية الكونية المقصودة هنا هي المعرفة الواعية[٧] الصادرة من فكر

واع، وبصيرة صافية عالمة لا تختلط عليها الأمور. وهي بهذا تختلف عن الجنبة العملية أو ما يعرف بالإيديولوجيات، فالرؤية الكونية((مجموعة من المعتقدات والنظريات الكونية المتناسقة حول الكون والإنسان بل حول الوجودعامة،- أما- الأيديولوجية، مجموعة من الآراء الكلية المتناسقة حول سلوك الإنسان وأفعاله))[٨].

وبعد الوقوف على تعريف الفلاسفة لكل من الرؤية الكونية والإيديولوجية بإعتبارهما شقين للنظام الفكري، لكن أحدهما نظري والأخر عملي يرى البحث أنه لا تجوز المزايلة بينهما وقطع الوشيجة بين رحميهما، فهما مختلفان من جانب التمييز المنهجي فقط، و إلاّ فإنّ الرؤية الكونية هي إيديولوجيا من حيث الجانب النظري، وإنّ الإيديولوجيا رؤية كونية من حيث الجانب العملي.

بمعنى أن الإيديولوجيات كانت في الأساس رؤى كونية تأملها الإنسان، وقلب جوانبها ومن ثمَّ طبقها على أرض الواقع وكانت أساسا بأن يفعل أو لا يفعل، فمثلاً الصوم أو الصلاة أو سائر العبادات التي تعد من إيديولوجيات المسلم فإنه لم يقم بما يفعله من الإلتزام والتطبيق لها إلا بعد أن كانت تسبقها أفكار بها و بأثارها، فمثلا(الزنا) والعياذ بالله، فهو قبل أن يفعله الإنسان أو يصبح من الممارسات العملية لابد أن تسبقه رؤى فكرية، وامتدادات نظرية ومناقشات عقلية وعقلائية في أن يفعله الإنسان أو لا يفعله، فهو بالنتيجة لا يختلف عن الرؤية الكونية إلا بالجنبة العملية، وإلا فهو قد انطلق منها وكانت هي أساساً له في أن يفعله أو لا يفعله[٩]، وكذلك الرؤية فهي لابد وأن تنتهي بممارسة عملية فمثلا التفكير بما موجود لدى الإنسان الشاب الذي يتأمل في هذا الكون ومبدعه وخالقه و موجده، فهو يطيل النظر حتى أنه يصبح في النهاية ممارسة عملية، إما أن يؤمن بالوجود المطلق أو يكفر بعدم وجود الخالق، فالتفريق والمزايلة كانت من حيث المنهج فقط ولم تكن من جانب الحقيقة أو الماهية أي الرؤية الكونية والإيديولوجيا اختلفت أحدهما عن الأخرى من جانب الحيثية فقط.

المبحث الأول:

اولاً: دور الفطرة والتربية في صياغة الرؤية الكونية:

قال الخليل (ت١٧٠هـ)((فطرالله الخلق أي خلقهم، وابتدأ صَنعة الأشياء وهو فاطر السماوات والأرض، والفِطرة: التي طبِعت عليها الخليقة من الدين فطرهم الله على معرفته من ربوبيته))[١٠]. فإنّ الله سبحانه مثلما فطر السماوات والأرض وخلقها، جعل معرفته والايمان به في النفس الإنسانية إلا إنها تحتاج إلى بحث وتأمل هذا ما يخص المعنى اللغوي.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

أما المعنى الإصطلاحي فقد قيل إنها تعني الدين، أو تعني الخلقة الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى[١١]، وقد صرح القرآن الكريم بالمعنى الأول بقوله تعالى: {**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** } (سورة الروم ٣٠). وهذا نص على أنّ الفطرة تعني الدين فـ((أصل فطرة الإنسان هي الإسلام والإيمان بالله سبحانه وتعالى))[١٢]، وهناك من أعاد المعنى إلى الخلقة وطبيعة الإنسان المهيئة لقبول ما يلقى فيها[١٣]. وهي من المحاور التي طرقها القرآن الكريم في أكثر من آية شريفة، وبين أهميتها للإنسان بل أوجب عليه الاستمرار عليها وعدم الخروج من حيزها، يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ((**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ**))(الروم ٣٠) ((فطرة الله أي الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله، وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله(مُنيبين إليه)، ومنيبين حال من الضمير في الزموا))[١٤].

فالإنسان عندما يولد ويكبر ويميل قلبه إلى هذا الخالق العظيم والموجِد المطلق لكل المخلوقات حوله إلا أنه يبقى باحثاً متأملاً فيما هو قبل أن يتعرض إلى ما يلوث هذه الفطرة السليمة التي أوجدها الله سبحانه وتعالى وزرعها في نفسه، لذا تراه موظفاً كل أدواته المعرفية والإدراكية على حدٍّ سواء لمعرفة الجواب الذي ماأنفك طارحاً له(من أين جاء) و(إلى أين يذهب)، وهو سؤال مهم في بداية و مبدأ خلقه، و موجد هذا الخلق، وفي نهاية مسيرته وإلى أين ينتهي به المطاف، وحتماً هو سؤال تُوجِده لديه الفطرة السليمة غير الملوثة فأما الجواب عنه فسيكون بعد اكتمال الرؤى الكونية لديه، فما فكر الإنسان بما هو موجُود ولا بالموجِد ولا بالعلاقة الجدلية بين الإنسان و الوجود ولا ثارت في نفسه النزعة إلى معرفة ذلك، إلا لغرض فك شفرة الفطرة السليمة الموجودة لدى الإنسان بأصل خلقه بعيداً عن الملوثات فـ((المعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له، لكونه مجاوباً للعقل مساوقاً للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر))[١٥]، وهذا قول صريح بأنّ الإنسان يولد على دين التوحيد ولكن خروجه عن هذا المعتقد هو نتيجة لما يحصله من معتقدات خاطئة تحيد به عن الطريق الصواب، فهذه نتيجة إلى الكسب المعرفي وتشكل الرؤى الكونية لديه لا مثل ما اعتقده بعضهم من أن الفطرة تكون على معنيين أحدهما الدين، والأخر طبيعة الإنسان وقابليته للتغيير[١٦]، والدليل على أنّ هذا كسب وليس من الفطرة العناد الذي عند كفار قريش إلى جانب محاولات الرسول(صلى الله عليه وآله) المتكررة لأخراجهم من الكفر إلى الإسلام وحصول

الكسب المعرفي بنبوته إلا أنهم أصروا على موقفهم من الكفر والعناد، ولو كانت هذه طبيعة مغروزة في النفس الإنسانية لتغيروا، فالإنسان مجبول على اتباع ما هو صائب وتكوين رؤى كونية توافق هذه الطبيعة الموجودة لديه إلا أن الظروف المحيطة و الملوثات البصرية والسمعية المحيطة به هي ما تجعله يبتعد عن الجبلة الأولى التي فطره الله عليها.

لذا يعود الآثر الأكبر للنظرية المعرفية في التكامل الإنساني وخروج ذلك الإنسان من الحيز النظري إلى الحيز العملي حتى يكون من ضمن مجالات الفعل اليومي الإجرائي[١٧]،فمثلاً جعفر بن أبي طالب عندما سأله رسول الله(صلى الله عليه وآله) ((لماذا لم تشرب الخمر أو تكذب أو تزني، فقال: لم أشرب الخمر قط لأني علمت أني إن شربتها زال عقلي، وما كذبت قط لأنّ الكذب ينقص المروءة، وما زنيت قط لأني خفت أني إذا عملتُ عُمل بي...))[١٨]. فهذه الأمور التي لم يفعلها كانت موجودة قبل الإسلام وقبل بعثة النبي(صلى الله عليه وآله)، وكانت مشهورة في الجاهلية إلا أنه لم يزاولها؛ لأن فطرته السليمة دفعته إلى التفكير في عواقب تلك الأمور، فكون رؤى ومعرفة أبعدته عن مزاولة تلك الأمور ومن ثم كانت نتيجة الابتعاد عنه، وهو بهذا مثل نموذجاً لـ((إعطاء العقل البشريوظيفته الحقيقية التي خُلق من أجلها وهي أن يكون الواسطة الضرورية بين المطلق والنسبي، والمقدس وغير المقدس، وبين المتعالي والتاريخي، بين الوحي والممارسة العملية اليومية للإنسان))[١٩]، فلابد للإنسان من بناء رؤية معرفية تبعده عن كل ما يؤثر على إنسانيته وتوصله إلى المهالك.

أما التربية ودورها في صياغة الرؤية الكونية، فهو دور كبير وفعال فإنها ذات أثر كبير وواضح وفعال في صياغة وبلورة الرؤية الكونية، وذلك انطلاقاً من قول الرسول(صلى الله عليه وآله): ((كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه و ينصرانه))[٢٠]. هذا قول واضح وصريح بأن للتربية ونشأة الطفل أثر كبير في صياغة الرؤية الكونية لديه، وذلك لأن السِنيِّ الأولى من حياته ذات أثر كبير في إعداده وتربيته، وهي مهمة في اكسابه المعتقدات والتوجهات التي يعتقدها الأبوان، ومن ثمَّ فهو يسير على نهجهما وهذا جاء بصريح الآية الشريفة في قوله تعالى: {**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**}(الزخرف٢٢)، فهي آية صريحة بتربية الأبناء وجعلهم يتبعون الإعتقادات حتى وإن كانت خاطئة ولاسيما إذا كان الأبناء من الذين يقلدون التقليد الأعمى، فكل طفل يولد على الفطرة أي يولد على الدين أو تؤول (على) بـ(اللام) أي يولد للدين ومن أجل الدين كقوله تعالى:{**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}(الذاريات٥٦).أو تكون الفطرة بمعنى الخلقة أي كلّ مولود يولد على الخلقة الدالة على الذات الألهية وعلى

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

وحدانيته وعبادته والإيمان به، لأنه سبحانه جعل آية وحدانيته والإيمان به موجودة في خلق الإنسان[٢١]، لقوله تعالى: {**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ** } (فصلت)٥٣. ثم يكون دور الأباء في اعداد الطفل إعداداً سليماً، أو الإنحراف به وإبعاده عن الفطرة السليمة و التي هي توحيد الله سبحانه وتعالى إذ لو ترك الطفل لتوصل إليها بنفسه فهي موجودة في نفسه لا تتغير ولكنها تحجب[٢٢].

ومن الأمثلة على التربية الصالحة هي ما قام به الرسول(صلى الله عليه وآله) من تنشئة للإمام علي على الأخلاق الحميدة وصفاء السريرة والتوجه إلى الخالق العظيم وحده دون غيره، وتشكيل رؤية موحدة لله سبحانه، يقول في ذلك:((ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري----))[٢٣]، فهو (عليه السلام) يشير إلى قربه من رسول الله(صلى الله عليه وآله) وتأثره بأخلاقه، وأمر الرسول له باتباع ما يراه ويعتقده ليصوغ لديه معرفة مطلقة بالفضائل والمكارم فضلاًعن صوغ رؤية موحدة لله سبحانه وتعالى.

ثانياً: دور الرؤية الكونية في صياغة التوجهات الإنسانية وتشكلها:

للرؤية الكونية دور كبير في تشكل توجهات الأمم ومعتقداتها، فقد تلعب دوراً كبيراً في هذا الإتجاه سواء أكان هذا الدور سلباً أم إيجاباً، وسيكتفي البحث في الحديث عن رؤيتين كان لهما تأثير كبير على معتقدات الإنسان وقد يستمر هذا التأثير إلى مئات بل ألالف السنين.

١- الرؤية الكونية الصحيحة(ما وافق الفطرة): وخير مثال على ذلك نبي الله ابراهيم(عليه السلام)الذي صاغ رؤية كونية صحيحة عن التوحيد وعن الإيمان بالله سبحانه، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في العديد من الآيات الشريفة التي تظهر كيفية إيمانه وطريقته التي حاول من خلالها وبوساطتها بث الإيمان بالله وتوحيده سبحانه فيمن حوله وإلى الآن، خذ مثلاً قوله تعالى : {**فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** } (سورة الأنعام ٧٧- ٧٨). فهذا مثال في إثارة التفكير الإنساني من خلال المخلوقات ودفعه نحو الإيمان بموجدها بعد اكتمال المعرفة المطلقة عند النبي أبراهيم عليه السلام بالموجد المطلق وهو الله سبحانه، فهو قد توصل ومن خلال الرؤية و المعرفة التي يمتلكها وساعدته في ذلك الفطرة السليمة إلى الإيمان بالله سبحانه،وأيضاً بعد قصة تحطيم الأصنام كما ذكر ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: {**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ**} (سورة الأنبياء ٦٣-٦٤). فهو قد أحدث خلخلة في معتقدهم وأراد

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

منهم أن يتبعوا دين التوحيد وهذا ما حدث وما بينته الاية الشريفة بقولهم(أنتم الظالمون) فهم قد ظلموا أنفسهم بفعلهم وأتباعهم دين الشرك والأصنام. لذا فالرؤية والمعرفة التي كان يمتلكها عن الذات الألهية قد مدحها الله سبحانه في القرآن الكريم بقوله تعالى: {**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** }(النحل ١٢٠).

أي كان عليه السلام (معلماً للخير يؤتم به)[٢٤]، فإن الله سبحانه جعله قدوة أي(قدوة وإمام)[٢٥]، وذلك لوضوح الرؤية لدية عليه السلام، بل أكثر من ذلك أن الله سبحانه نسب السفه وإلى كل من يرفض هذه الرؤية التي حققها النبي إبراهيم بقوله تعالى: {**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** }(البقرة١٣٠). فالشخص الذي يرغب ويرفض هذه الملة والطريقة التي اختطها النبي إبراهيم عليه السلام وهي ملة التوحيد هو الشخص الذي يريد أن يهلك نفسه ويوبقها ويدخلها في الرذائل، قال الزمخشري((ومن يرغب إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة أبراهيم))[٢٦]، وقال الشيخ الطوسي((ومعنى من يرغب عن ملة إبراهيم لفظه الإستفهام ومعناه الجحد، كأنه قال ما يرغب عن ملة إبراهيم ولا يزهد فيها إلا من سفه نفسه، وكأنه قال وأي الناس يزهد فيها إلا من سفه نفسه والأول على الإستفهام ومعناه الجحد))[٢٧]، لهذا أمر الله سبحانه ثلاث ديانات اليهودية والمسيحية والإسلام بإتباع هذه الملة واعتناقها قال تعالى: {**وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } (سورة البقرة ١٣٥).

فهذه الملة هي الحق الذي يجب أن يتبع، وقد تفاخر اليهود والنصارى بأنه (عليه السلام) منها فجاء الرد بقوله تعالى: {**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** } (سورة آل عمران٦٥)، فهو (عليه السلام) لم يحسب على هذه الديانات، وقد صرح القرآن الكريم في ذلك بقوله تعالى: {**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } (سورة آل عمران٦٧).

فهو عليه السلام كان واضح الرؤية بحيث خط طريقاً امتدحه ربُّ العالمين وأمر الناس باتباعه وأنه لم يكن يحسب على ديانة دون أخرى بل كان حنيفاً مسلماً مائلاً إلى دين الإسلام[٢٨]، وبهذه الرؤية التي أمتلكها استحق أن يكون إماما للناس وقدوة لهم.

٢- الرؤية الكونية غير الصحيحة(ما خالف الفطرة): وهذه الرؤية على عكس الرؤية والمعرفة السابقة كانت ضبابية غير موافقة للفطرة بل منحرفة عنها، وسيقف البحث عند شخصية فرعون الطاغي الذي إدعى الربوبية، وكيف أنه أثر على عقول وأفكار قومه فأطاعوه لقوله تعالى: {**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ** }(الزخرف٥٤)، فهو شخصية غريبة ادعت الربوبية قال تعالى : {**فَحَشَرَ فَنَادَى، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** } (النازعات٢٣-٢٤).

الآية واضحة وصريحة في أنه جمع قومه وأراد منهم أن يوافقوه على ما يعتقد من ادعائه الربوبية، بمعنى أنه سلب أرادة قومه وكون منهم أناس مسلوبي ألارادة والقرار وهذا هو حال المستكبرين((إن ّ الآلهة المزيفة وبحكم المستكبرين الحماة و الرعاة لأهداف الأمة ومستقبلها المصاغ يسلبون كل صفة للحكم والمشاركة في إصدار القرار---حتى يتحول الناس إلى أشبه بقطيع الماشية يسير خلف راعيه، وليس لأحد أن يرفع صوته ولو بكلمة وإلا أعتبر مخالفاً لخط سير الأمة))[٢٩]، فهو قد كون رؤية كونه هو الرب واتكأ على ملكه وقوته قال تعالى: {**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** } (الزخرف٥١).

فهو لتغطرسه وتكبره وملكه للبلاد والعباد وسلبه للحريات قد بنى رؤية كونه هو الرب، وهو المالك لرقاب العباد، وهي رؤية منحرفة ما رقة عن جادة الصواب، فهذا الاستكبار والاستعلاء في الأرض الذي يرجع إلى أسباب نفسية وإجتماعية، أما النفسي فهو الصراع الذي يعيشه الإنسان من الداخل بين الشهوانية والأهواء التي توجد فيه و القيم السامية التي وجدت في فطرته، فإذا غلبت إحدى القوتين في داخله فإنها تظهر على سلوكه، أما السبب الإجتماعي فهو حب الدنيا[٣٠]، فهذه الرؤية أو المعرفة الزائفة ((ما هي إلا أنحراف حقيقي مكنه من خط ورسم سياسة الأمة، وذلك بعد التحول الكبير عن منهج الله تعالى ودينه القويم))[٣١]، وهو بهذا أراد افراغهم من محتواهم الطبيعي وهو التفكير والرد على كل ما خالف الفطرة السليمة قال تعالى: { **قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** }(غافر٢٩)، فقد حاول كما نقلت الآية الشريفة أن يبعد كل صيحات الوعظ والإرشاد التي تأتي محاولة اخراج الناس من حالة العبودية و الخضوع له، ويعد هذا من أكبر سلب الحقوق الذي ما رسه فرعون بحق شعبه وهو سلب حرياتهم الفكرية وجعلهم يرون ما يراه فقط، فهذا الاستضعاف الفكري و المعرفي الذي مارسه فرعون هو الذي خلق مجتمعاً ضعيفاً تسوده الخلافات و المصالح والطبقية[٣٢].

و أنه مجتمع مهزوز عقائدياً، غير واثق بما يراه الساسة ويعتقدونه كونهم قد ادعوا ذلك لتسيير أمورهم وكسب مصالحهم وسلب الإرادة من غيرهم، والدليل على ذلك إيمان من كان يعتمد عليهم في أرساء حكمه وسلطانه في أول تجربة لهم أثبت فيها قدرة الله سبحانه وتعالى وقوته المطلقة في قصة السحرة

وقد قسمت الرؤية إلى عدة أقسام: الرؤية الكونية العلمية أو التجريبية، و الرؤية الكونية الفلسفية أو الاستدلال العقلي، و الرؤية الكونية التعبدية الأعتقاد بالنص المقدس أو الاقتداء بقادة الأديان و الإيمان بأحاديثهم، و الرؤية الكونية العرفانية أو المكاشفة[٣٣]، والذي يهمنا في هذا البحث هما الرؤية الكونية الفلسفية، بأعتبار أن الإمام علي كان يستعمل هذا النوع من الرؤى الكونية في إثبات ما يريد أن يقوله وأن يوصله إلى الإنسانية، أما الرؤية الكونية التعبدية فهو كان ملتزما بما جاء به القرآن الكريم و بما يقوله النبي من تعاليم وما ينقله من وحي، كيف لا وهو التلميذ الأول لهذه المدرسة السماوية والتابع المميز للطريقة المحمدية(صلى الله عليه وآله).

المبحث الثاني:

أولاً: الرؤية الكونية الفلسفية (الإستدلال العقلي):

استعمل الإمام علي هذا النوع كثيراً في سبيل إيصال ما يريد إيصاله إلى المجتمع المسلم أو العالم بصورة أعم، فهو (عليه السلام) كان يركن في هذا النوع إلى قوة الحجة العقلية التي يمتلكها عليه السلام فهو أستاذها الأول والتي إما يطرحها أو يلفظها في ثنايا قوله، أو يجعلها متوارية يعطي المجال فيها للمتلقي لكي يستنبطها ومن ثم تكون أعلق في نفسه وأقوى في دفعه إلى الالتزام في ما يريد أن يوصله لهم.

ومما ورد منها في كلامه (عليه السلام). قوله: **((إن لم تعلم من أين جئت، لم تعلم إلى أين تذهب))**[٣٤]، ويروى عنه أيضا**((رحم الله امرأ عرف من أين وفي أين وإلى أين))**[٣٥].

وهذه كلمة عظيمة تحوي مكنون علمه عليه السلام وقوة توحيده للذات الإلهية، يثير فيها تفكير الإنسان في سبيل معرفة المبدأ الذي ينطلق منه وهو التوحيد من عدمه، فهي كلمة تحمل معنى عميقاً في تثبيت أصل مهم لابد للإنسان من أن يلتزمه، وهو التوحيد ومن ثمَّ فهو الأصل الذي ينطلق منه كل خير، ولابد من اتباع الرسالة المحمدية وأهل بيت النبوة ايضاً. فلأول هو معرفة الله سبحانه، فلابد للإنسان من معرفة من أين جاء ومن هو مصدر خلقنا، ولابد لهذا الخلق العجيب من موجد، وقد نص القرآن الكريم على هذا التفكير بقوله تعالى: { **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** } (سورة فصلت ٥٣).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

الأية الشريفة تصرح بوجوب استثمار الإنسان لهذه الحقائق و الدلائل والقطع بوجود ربّ خالق موجد لهـا، يقول جورج جرداق عن سيد هذا النوع من الناس((علي بن أبي طالب عظيم من عظماء هذه الطائفـة--- طائفة الأدباء الخالدين الذين أخترقوا حجب الحقائق ليدركوها كما هي ---- أولئك الذين ينظرون إلى نجوم السماء ورمال الصحراء وماء البحار----- فإذا هي أشياء من نفوسهم هذه النفوس التي تستشعر في الكون قوة جمالية واحدة جامعة كانت منذ الأزل وتبقى إلى الأبد))[٣٦].

فكان (عليه السلام) يوظف كل ما موجود في سبيل الوصول الى النتيجة الحتمية وهـي التوحيـد، وعلـى المؤمنين لا بل كل إنسان باحث عن الحقيقة نهج هذا السبيل ليسلم.

ومن ثمَّ التصديق بالرسول(صلى الله عليه وآله) واتباع أهل بيته عليهم السلام فهم كما ورد في الأثر((بكـم فتح الله وبكم يختم))[٣٧]، فهم (عليهم السلام) المبدأ لكل خير بعد توحيد الله سبحانه وتعالى، وهذه مجموعـة من المعتقدات الكونية المتناسقة يطرقها الإمام علي في هذه الجملة القصيرة تمحورت حول الإنسان وطريقة تفكيره، فهو إذا ما عرف مبدأه عرف مقصده وخاتمته.

ومنه قوله:((**فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد أخلى منه**))[٣٨].

وهذه أيضا مجموعة من الرؤى الكونية التي تتمحور حول الإنسان المؤمن وإيمانه بالموجود المطلق وهـو الله سبحانه وتعالى أو تكون مقدمة للإيمان به، فليس من المعقول أن يؤمن الإنسان حين يؤمن وهو يسـاوي ويصف الله سبحانه ويقرنه بصفته فهذا يجعله ثانياً في حين أنه (أحد فرد صمد).

قال ابن أبي الحديد((وقوله وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، فهو تصريح بالتوحيد))[٣٩]. فهو عليـه السلام بهذه الكلمات يحاول أن يرفع من شأن الإنسان بالترفع عن الأشياء التي ينسبها إلى الرب سبحانه من الأوصاف التي تقرنه بصفته ومن ثم تدل على جهل الإنسان بهذا الرب العظيم

فعنده عليه السلام يجب أن لا يكون الإنسان قاصراً في نظره على النسبي والمحسوس و المحدد، بحيـث لا يرفع مستوى نظره إلى ما وراء الأشياء بانفتاح بصيرته على ما يتدفق من موجات العوالم الكونية لذا يقـول (عليه السلام)عندما سُئِلَ هل رأيت ربك قال: ((**لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره، قال السائل فكيـف رأيتـه صفه لنا، قال عليه السلام: ويلك لم تره العيون بمشاهد الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان**))[٤٠]، فهو يؤكد هنا على صفاء البصيرة وانفتاحها على رؤية الحقائق الملكوتية ليصل به الأمر إلى قولـه عليـه السلام:((**إنّ ربي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بالقيام قيام انتصاب، ولابجيئة ولا بذهاب،**

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

لطيف اللطافة لا يوصف بالطف عظيم العظمة لا يوصف بالعظم كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر---))[٤١]، ويستمر (عليه السلام) بتوحيده بين الذات الآلهية و الصفات،فالصفات هي عين الذات الآلهية وأنها هي نفس الصفات.

لذا فهذه الرؤية الكونية التي يجب أن تكون موجودة عند الإنسان الموحد لكي لا يجعل فرقاً بين الذات الألهية والصفة فيقرنه ومن ثمّ يثنيه وهذا يضطره إلى تقسيمه وتجزئته والأزلي الأبدي لا يُقسمَّ فالقسمة تتنافى مع الكمال المطلق، وإذا ما قام الإنسان بالتجزئة يسلمه ذلك إلى الجهل بالذات الألهية وهو بهذا ينطبق عليه قوله تعالى: {**وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** } (سورة الحج ٧٤)، إذن الإمام علي يريد بذلك أن يخرج الإنسان من غياهب الجهل ويرتفع به إلى الإيمان بالكينونة المطلقة و الوجود الأزلي.

ومنه قوله عليه السلام لمالك الأشتر: ((**واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق**))[٤٢]. فالإنسان هو المحور في هذه الرؤى الكونية، فهو عليه السلام يقدم مجموعة من النظريات المتسلسلة و المترابطة في طريقة التعامل مع الرعية، فهي تنور عمل الوالي((لكي تحصل هذه المشاركة الوجدانية، ولكي تؤتي أكلها يجب على الوالي أن يخالط الرعية وأن يمكنهم من مخالطته، ومطالعته بما يريدون، لأن أحتجابه عنهم سبب لجهله بأحوالهم، وسبب لأنصراف قلوبهم عنه وتفاقم موجدتهم عليه))[٤٣]، والإمام بهذا ينطلق من مبدأ قرآني في التعامل بين المؤمنين على أساس الأخوة الإيمانية لقوله تعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** } (سورة الحجرات ١٠).

وكذلك النوع الثاني على أساس الإنسانية وهو أيضا ينطلق من قوله تعالى: {**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** } (سورة المائدة ٣٢).

وهذا المبدأ القرآني الذي لا يسأل عن الدين أو القومية أو المذهب أو العشيرةعند تقديم يد العون والمساعدة بل يعمل على ترسيخ مبدأ الإنسانية، فكذلك أمير المؤمنين يوصي مالك الأشتر بالالتزام بهذا المبدأ وعدم الحياد عنه، فهذا المقطع يتجلى به محورية الإنسان في فكر ورؤية الإمام علي عليه السلام وقوتها الضاغطة على المتلقي من أجل تعديل سلوكه وتعامله مع الرعية أو الإنسان بصورة عامة، فعنده السيد والرئيس لن يكون كذلك إن لم يساوي بين نفسه وبين رعيته.

ومن هذا التعامل الراقي((أنه أبى على جنده وهم في حال من النقمة و السخط أن يقتلوا عدواً تراجع، وأن يتركوا عدواً جريحاً فلا يسعفوه))[٤٤]، وهذا هو منهجه الذي كان كثيراً ما يحاول ترسيخه بصورة عملية

ويصر على تطبيقه في التعامل بين الإنسان وأخيه الإنسان لا فرق عنده عليه السلام في ذلك بين إنسان عادي من الرعية أو من علية القوم وساداتها.

ومثال ذلك قوله عليه السلام:((**فإنّ الله لم يخلقكم عبثاً ولم يَترككُم سُدى، وما بين الجنةِ والنار إلاّ الموت أن يَنزِلَ به، وإنّ غايةً تنقصها اللحظةُ وتهدمها الساعةُ لجديرةٌ بقصر المدةِ، وإنّ غائباً يحدوهُ الجديدان الليلُ والنهارُ لحريٌّ بسرعةِ الأوبةِ، وإنّ قادماً يقدم بالفوزِ أو الشقاوةِ لمستحقٌ لأفضلِ العُدةِ فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تَحرَزُون به نفوسكم غداً**))[٤٥]. فهو عليه السلام ينقل رؤيته و معرفته عن عمر الإنسان و الذي تنقصه اللحظة التي تمرُّ عليه، وتهدمه الساعةُ التي يعيشها مستفيد منها في إقناعه، فالإنسان تراه فرح بذهاب الساعات والأيام إلا أنها في الحقيقة ذهاب له كما قال الشاعر:

يسر المرء ما ذهب الليالي

و كان ذهابهن له ذهابا[٤٦].

فكلما ذهب يوم من عمر الإنسان نقص من حياته يوم، فهذه الغاية وهي الحياة الدنيا التي تكون عند بعض الناس هي المطلب والمبتغى، قصيرة ولا تتناسب مع أهميتها أو الاقتتال عليها من قبل بعضهم، خاصة إذا علم الإنسان أن نهايتها مختومة بزائر وغائب تسوقه بسرعة الليالي و الأيام وهو الموت، ففي كلام له (عليه السلام) عن سرعة اللقاء بين الإنسان وبين الموت ((**إذا كنت في إدبار و الموت في إقبال فما أسرع الملتقى**))[٤٧]، وهذا القادم ينهي حياة الإنسان كما قسمها (عليه السلام)(بالفوز أو الشقاوة) فحري بالإنسان أن يستعد له ويهيء نفسه، فهذه رؤية ومعرفة يصوغها الإمام (سلام الله عليه) و يجعلها بمتناول السامعين إلى يوم القيامة لغرض الإستعداد أو عدم الغفلة عن الموت أو التعلق بالدنيا الزائلة قصيرة المدة مهما عاش فيها الإنسان، فهي لابد لها من الزوال، والانحسار، وإذا كانت بزبرجها وما فيها تنقصها اللحظة يجب على الإنسان أن يستثمرها بطاعة الله سبحانه، والتزام أوامره واجتناب نواهيه، ومن دواعي جهل الإنسان التعلق بشيء زائل يُخلقه الحادثان، وقد نقل القرآن الكريم هذه الرؤية بقوله تعالى: {**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** } (آل عمران١٨٥)، فهذه حقيقة قرآنية فالدنيا بما فيها ماهي إلا متاع بمعنى أنها مضمحلة زائلة[٤٨]،

ثانياً: الرؤية الكونية التعبدية(الإعتقاد بالنصوص المقدسة):

ولا فرق في ذلك عنده بين الآيات الشريف، وأحاديث الرسول (ص) وأقواله الشريفة، فهو ملتزم بها متعبد بما جاء بمضمونها .

ومنه قوله بعد تلاوة قوله تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} (سورة التكاثر ١-٢).قال: **((يالـه مراماً ما أبعده، وزوراً ما أغفله وخطراً ما أفظعه، لقد استحلوا منهم مُدكر وتناوشوهم من مكان بعيد، افبمصارع آبائهم يفخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون، يرتجعون منهم أجساداً خوت، وحركات سكنت، ولأن يكونوا عِبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً، ولأن يهبطوا بهم جَنَابَ ذِلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عِزة))**[٤٩].

المتأمل لكلامه عليه السلام يراه ملتزماً غير مبتعد عن مضمون الآية الشريفة التي استفتح بها قوله، وكأنه يدور بفلكها ويفصح عن مضمونها، فهي تعيب وتستنكر فعلهم فمن غير اللائق عدّهم الموتى تفاخراً وتكبراً بأجدادهم ومنجزاتهم وما قاموا به، فالإمام علي لا يخرج من هذا المضمار في إنكاره على من قام بهذا الفعل من الرجوع إلى أجداده وآبائه وكان من الأليق به أن يستثمر الحوادث التي مرت بهم وجرت عليهم وتركهم أموالهم ودورهم ويتخذها عبرة ينجي بها نفسه من العذاب يوم لا ينفع مال ولا بنون، فهو (عليه السلام) يعد هذا الفعل خطر فظيع، فاستذكار الأجداد عمل غير مندوب و فعل خطر عند أمير المؤمنين وذلك لأنه يبعد الإنسان عن الله، بينما المقصد التوجه للرب بالعبادة وآداء الواجب المناط بكل إنسان، فالواجب أن يكون التفاخر بالطاعة[٥٠] لا بالأجداد.

ومنها قوله بعد تلاوة قوله تعالى: **{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }** (القصص٨٣). قال :**((بلى والله لقد سمعوها و وعوها ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها))**[٥١]، بنى أمير المؤمن عليه السلام رؤيته انطلاقاً من الآية الشريفة التي نصت على أنّ الجزاء يوم القيامة للإنسان المتقي المتواضع هو الجنة والخلود فيها، أما الجانب الأخر المسكوت عنه وهو جزاء الذين يريدون علواً في الأرض فهو النار بلا جدال، فالقرآن الكريم((لم يعلق الوعد بترك العلو في الأرض و الفساد ولكن بترك إرادتهما--- وهذا شديد في الوعيد))[٥٢]، فإنّ الله أراد أن يظهر رسالة إلى الذين يريدون الفساد والعلو في الأرض، فيأتي الإمام علي(عليه السلام) فيفهم هذه الرسالة الإلهية ويكون رؤيته حول هؤلاء الأشخاص وعنادهم، فهم على الرغم من وعيهم هذه الآية الشريفة واستيعابهم لها يصرون على العلو والاستكبار والفساد في الأرض ويشخص هذا ويرجعه إلى سبب معقول ومفهوم لدى جميع العقلاء الا وهو حب الدنيا بقوله(حليت الدنيا في أعينهم)، وحليت بمعنى((استحسنت))[٥٣]، فالإمام يشخص ويكون رؤية ومعرفة تامة بسبب هذا العلو والفساد والإستكبار الذي يصدر من الطغاة ويرجعه إلى حب الدنيا إذ يقول في موضع أخر((حب الدنيا رأس كل خطيئة))[٥٤]، وهذا الحب والدافع ما هو إلا مرض إجتماعي[٥٥]

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

يصيب الطغاة والمستكبرين فيجعلهم لا يرون إلا ما يلبي رغباتهم وطموحهم وتسلطهم، وبالتالي تجلب هـذه التصرفات والأعمال التي يقومون بها الويلات لشعوبهم ورعيتهم وأسرهم إذا كانوا أصحاب اسر اللهم اخرج حب الدنيا من قلوبنا كما فعلت بالصالحين من صفوتك والأبرار من خاصتك.

وقوله(عليه السلام) بعد تلاوة قوله تعالى: {**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** }النور٣٧، قال: ((**وما برح لله- عزت آلاه- في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات عبادٌ ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصحبوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة، يذكرون بأيامِ اللهِ ويُخَوِّفُون مقامَه، بمنزلةِ الأدِلّةِ في الفلواتِ، من أخذ القصدَ حمِدوا إليهِ طريقَهُ، وبشّروه بالنجاة، ومَن أخذ يميناً و شمالاً ذمّوا إليهِ الطريق، وحذروه من الهلكة، فكانوا كذلك مصابيح تلك الظُّلُماتِ وأدلّةَ تلك الشُّبُهاتِ**))[٥٦].

فقد استثمر الإمام علي(عليه السلام)الآية الشريفة واستفاد منها أيّما استفادة بتكوين رؤية ومعرفة بأشـخاص معينين وطبقة راقية على أساس الذوبان في المعرفة الإلهية والذات القدسية كانوا بحق الأدلاء على عظمة الله سبحانه وقدرته، فهم قد ناجاهم في فكرهم وكلّمهم في ذات عقولهم أي قد فهموا واستوعبوا ما طلبه منهم من خلال كتابه الكريم ونبيه العظيم(صلى الله عليه وآله) وتصديقا لقوله تعالى: {**لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** } (الحاقة١٢)، فهم قد ألهمهم[٥٧] معرفة ذلك فكان كالمصباح لهم يشقون به أمواج الفـتن، واسـتحقوا بذلك أن يكونوا مناراً يهتدى به في أوقات الشدائد والمحن، وذلك راجع إلى يقينهم الثابت والراسخ في الذات الإلهية و المعرفة الربانية الذي يمثله قوله(عليه السلام) ((**لو كشف الغطا ما ازددتُ يقينا**))[٥٨]، أفمن يحمل هكذا يقين وقلبه مطمئن بالإيمان أحق أن يتبع أم من شرح بالكفر صدرا، فهو (عليه السلام) كأنـه يرمـي ببصره إلى أحقيته و ولده (عليهم السلام) بالإتباع وسياسة الأمة فهم الأعلام و الشواخص الدالة في صحراء حياة الإنسان القاحلة من المعرفة الحقيقية و العلم المكتمل، فهم من نصبهم الله سـبحانه وتعـالى فـي هـذا المنصب الخطير هداية الأمة و اخراجها من الظلمات إلى النور..

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

خاتمة البحث ونتائجه:

من الرائع والممتع البحث في كلام أمير المؤمنين وسيد الموحدين و محاولة استكناه خباياه والوقوف على مقصوده فهو كلام رائع يحمل بين طياته معنى ومعنى وفي نهاية البحث لابد من أن تُجمل نتائجه وتُوجز محاوره لذا أقول:

١- إنّ الكون هنا هو بمعنى التكوين لنسق فلسفي و الإستفادة من الأفكار في بناء رؤية ومعرفة تكون في النهاية فكر واعي.

٢- هذا الفكر يزيل ويذهب إغتراب الإنسان وعدم معرفته بما يدور حوله من أمور وما يجري حوله من معتقدات.

٣- لا يقصد بالرؤية النظر بالعين وإنما المعرفة والعلم الذي يستحصله الإنسان من صفاء البصيرة والخبرة والممارسة.

٤- الرؤية والإيديولوجيا فرعان لنظام فكري أحدهما نظري التي تعني الرؤية الكونية التي ترادف المعرفة، والأخر عملي وهو الإيديولوجيا، لكن لا يمكن قطع الوشيجة والرحم بينهما.

٥- تأثير الفطرة و التربية على وضوح الرؤية وضبابيتها بشكل كبير و ظهور ذلك على تصرفات الإنسان وتوجهاته.

٦- تأثير الرؤية و المعرفة على تشكلات المجتمع وتوجهاته، فهي إما تؤثر سلباً و إما إيجاباً وخير مثال على ذلك الرؤية الموافقة للفطرة للنبي إبراهيم(عليه السلام) والرؤية المنحرفة لفرعون الطاغي.

هوامش البحث

١. المستدرك على الصحيحين للنيسابوري:١٣٥/٣.
٢. -المعجم الفلسفي:٢٤٧/٢.
٣. -ينظر مصطلح الرؤية الكونية مجلة الدليل:٢٢١.
٤. ينظر المعجم الفلسفي مراد وهبة:: ٥٢٤.
٥. ينظر:موسوعة الأسئلة العقائدية:٥٦٨/٥.
٦. موسوعة الأسئلة العقائدية:٥٦٨/٥.
٧. ينظر مصطلح الرؤية الكونية مجلة الدليل:٢١٩.
٨. موسوعة الأسئلة العقائدية:٥٦٨/٥.
٩. ينظر بحث مصطلح الرؤية الكونية مجلة الدليل:٢٢٣.
١٠. العين مادة (فطر):٤١٨/٧.

١١.ينظر بحار الأنوار:٣/ ٢٨٣ وما بعدها.
١٢.جامع البيان:١١/٦٨٩١.
١٣.ينظر بحث الفطرة وعلاقتها بأدوات المعرفة و الإدراك:٤٤٩.
١٤.الكشاف:٣/٥٣٧.
١٥.الكشاف: ٣/٥٣٧.
١٦.ينظر بحث الفطرة وعلاقتها بأدوات المعرفة والإدراك:٤٥٠.
١٧.المذهب الذاتي في نظرية المعرفة:١٥.
١٨.علل الشرائع:٤٣٧.
١٩.المذهب الذاتي في نظرية المعرفة:١٥.
٢٠.بحار الأنوار:٣/٢٨١.
٢١.ينظر بحار الأنوار:٣/ ٢٨١ وما بعدها.
٢٢.ينظر بحث الفطرة وعلاقتها بأدوات المعرفة والإدراك:٤٥٢.
٢٣.شرح نهج البلاغة:١٣/١٩٧.
٢٤.غريب القرآن وتفسيره: ٢١٠..
٢٥.التبيان للشيخ الطوسي:١/٤٧٧.
٢٦.الكشاف:١/٢٢٣.
٢٧.التبيان:١/٤٦٨.
٢٨.ينظر بحار الأنوار:١٢/٢ وما بعدها
٢٩.مجتمعنا:٦٨.
٣٠.المصدر نفسه:٥٢.
٣١.المصدر نفسه:٦٤.
٣٢.المصدر نفسه:١٤٤.
٣٣.ينظر مجموعة الأسئلة العقائدية٥/٥٦٨.
٣٤.شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٢٩٢.
٣٥.موسوعة العقائد الإسلامية:٢/ ٣٠٣.
٣٦.الإمام علي صوت العدالة الإنسانية:٣/١٩٦.
٣٧.الزيارة الجامعة:
٣٨.شرح نهج البلاغة:١/٧٢.
٣٩.المصدر نفسه:١/٧٤.
٤٠.بحار الأنوار:٤/٢٧.
٤١.المصدر نفسه.
٤٢.شرح نهج البلاغة:٣/٨٤.
٤٣.دراسات في نهج البلاغة:١٣١.
٤٤.الإمام علي صوت العدالة الإنسانية:١/٧٨.

٤٥.شرح نهج البلاغة:٥/١٤٥.
٤٦.لم يُعرف قائله.
٤٧.شرح نهج البلاغة:٨/١٤٠.
٤٨.ينظر التبيان للطوسي:٣/٧١.
٤٩.شرح نهج البلاغة:١١/١٤٥.
٥٠.ينظر شرح نهج البلاغة: ١/١٤٥.
٥١.المصدر نفسه:١/٢٠٠
٥٢.المصدر نفسه:١/٢٠١
٥٣.لسان العرب مادة(حلا): المجلد ٢/٩٨٣.
٥٤.شرح نهج البلاغة:١٩/٥٣، ٣٣٠.
٥٥.ينظر كتاب مجتمعنا: ٥٣.
٥٦.شرح نهج البلاغة:١١/١٧٦.
٥٧.ينظر المصدر نفسه:١١/١٧٩.
٥٨.المصدر نفسه:١٠/١٤٧.

العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم.
- الإمام علي صوت العدالة الإسلامية: جورج جرداق، دار ومكتبة صعصعة مملكة البحرين، ط١/ ٢٠٠٣م.
- بحار الأنوار: العلامة المجلسي(ت ١١٠هـ)، مؤسسة الوفاء دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط٢/ ١٩٨٣م.
- التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة الطوسي(ت ٤٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري(ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩م.
- دراسات في نهج البلاغة:مركز نون للتأليف والترجمة، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط١/ تشرين الثاني، ٢٠١٠م.
- شرح نهج البلاغة: أبن أبي الحديد المعتزلي(ت٦٥٦هـ)، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباب الحلبي وشركأه،ط١/ ١٩٥٩م.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

- علل الشرائع: الشيخ الصدوقمحمد بن علي بن الحسين(ت ٣٨١هـ)، مكتبة دار المجتبى، العراق النجف الأشرف، ط١/٢٠٠٨م.
- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، حققه د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس(د- ط)
- غريب القرآن وتفسيره: عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي(ت٢٣٧هـ)، حققه وعلق عليه محمد سليم العاج، عالم الكتب بيروت- لبنان ط١/ ١٩٨٥م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: محمد بن عمر الزمخشري(٥٣٨هـ)، أعتنى به محمد السعيد محمد، المكتبة التوفيقية القاهرة_ مصر(ج – ط)
- لسان العرب: أبن منظور المصري(ت٧١١هـ)، حققه نخبة من أساتذة في دار المعارف، دار المعارف، القاهرة – مصر(د – ط)
- مجتمعنا: السيد محمد باقر الصدر(قدس سره)، دار المرتضى، بيروت- لبنان، ط١/ ٢٠٠٨م.
- المذهب الذاتي في نظرية المعرفة: السيد كمال الحيدري، منشورات دار الفراقد، قم المقدسة- إيران، ط٢/٢٠٠٥.
- المستدرك على الصحيحين: الحافظ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، حققه مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- المعجم الفلسفي: جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت- لبنان ١٩٩٤م.
- المعجم الفلسفي: مراد وهبة، دار قباء الحديثة، القاهرة مصر ٢٠٠٧م.
- موسوعة الأسئلة العقائدية: تأليف مركز الأبحاث والعقائد، إيران- قم المقدسة،ط١/١٤٢٩هـ.

الدوريات:

- الفطرة و علاقتها بأدوات المعرفة: د. محمد نبيل طاهر العمري، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج١٤، ع١، ٢٠١٨/.
- مصطلح الرؤية الكونية: د. عادل لغريب، مجلة الدليل، تصدر عن مؤسسة الدليل التابعة للعتبة الحسينية المقدسة، ع١، السنة الأولى، خريف ٢٠١٧م.